

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.

الحمدُ لله الذي فضَّلَ هذه الأمةَ على سائرِ الأممِ، وأنزلَ إليها خَيْرَ الكتبِ، وأرسلَ إليها خَيْرَ الرسلِ، والصلاةُ والسَّلَامُ على النبي الأمين، الذي ما تركَ خيراً إلا ودلَّ أُمَّتهُ عليه، وما تركَ شراً إلا وحذَّرَ أُمَّتهُ منه؛ صلى اللهُ عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإنَّ أنفُسَ ما على المرء أن يحفظه ويعتني به غاية العناية هو دينه، الدِّين الذي أوحاه اللهُ إلى نبيِّه -صلى اللهُ عليه وسلم- وهو كل ما جاء في الكتاب والسنة. وإنَّ اللهُ تعالى يبتلي العباد ويختبرهم بالفتن ليعلم الصادق في دينه من الكاذب، فقد قال تعالى: {وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ} ^١، ولقد جاء في الكتاب وفي السنة ما يرشد العباد إلى الطريق القويم، ويقيهم من الزيغ والضلال، ويحذرهم من كل صغيرة وكبيرة قد تعرض عليهم فتفسد عليهم دينهم، فقد تكون تلك المفسدات والفتن ظاهرةً جليَّةً، وقد تكون دقيقةً خفيَّةً يصعب التحرز منها، وإنه لن يسلمَ من تلك الفتن إلا مَنْ اتَّبَعَ كُلَّ ما جاء به النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم.

وقد توافرت النصوص في الكتاب والسنة التي تشير إلى خطورة الفتن، وأنَّ منها ما يُفتن به الإنسان وحده، ومنها ما يكون لعامة الناس.

وقد جاء في السنة ما يلفت النظر إلى أنَّ الفتنَ العظيمةَ إنما تزداد كلما تقدَّم الزمنُ وابتعد عن عصر النبي -صلى اللهُ عليه وسلم- وأصحابه، وأنَّه لا يأتي على الأمة زمان إلا الذي بعده شر منه ^٢، فإنَّ خيرَ الأمة قرْنُ النبي -صلى اللهُ عليه وسلم-، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم تقلَّ الخيرية كلما تباعدت القرون، حتى يكون آخرَ الزمان شرُّ الناس فتقوم عليهم الساعة، وقد جاء في الصحيح قوله صلى اللهُ عليه وسلم: "إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتُهُ عَلَى خَيْرٍ مَا يَعْلَمُهُ هُمْ وَيُنذِرُهُمْ شَرًّا مَا يَعْلَمُهُ هُمْ وَإِنَّ أُمَّتَكُمْ هَذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا فِي أَوَّلِهَا وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنَكِّرُونَهَا وَتَجِيءُ فِتْنَةٌ فَيَرْتَقِي بَعْضُهَا بَعْضًا وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ مُهْلِكَتِي. ثُمَّ تَنكَشِفُ وَتَجِيءُ الْفِتْنَةُ فَيَقُولُ الْمُؤْمِنُ هَذِهِ هَذِهِ. فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُرْجَحَ عَنِ النَّارِ وَيَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَبِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِيَّاتٍ إِلَى النَّاسِ الَّذِينَ يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ" ^٣.

ولا شك أننا في هذا الزمان قد تباعدنا كثيراً عن تلك القرون المفضلة، ولا نعلم كم ستكون بعدنا من قرون أو لا تكون، مما يجعلنا نؤكد على أهمية الرجوع إلى الوحي، لنأخذ منه ما يحمينا من تلك الفتن المقبلة، والتي تكاثرت وتميزت. والأحاديث التي تحذر من الفتن كثيرة، حتى أن أصحاب الحديث قد جعلوا لها كتباً في مصنفاتهم، وألف العلماء فيها مؤلفاتٍ خاصةً، ومن تلك الأحاديث التي جمعت عدداً من التوجيهات في التعامل مع الفتن حديثُ يرويه الصحابي الجليل عبدُ اللهِ بنُ عمرو بن العاص -رضي اللهُ عنه- .

^١ العنكبوت ٣

^٢ كما في الحديث، أخرجه البخاري كتاب الفتن/باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه (٦ / ٢٥٩١) ٦٦٥٧.

^٣ أخرجه مسلم كتاب الإمارة، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، (٦ / ١٨) ٤٨٨٢ سنن ابن ماجه (٢ / ١٣٠٦) ن مسند أحمد بن حنبل -ن- (٢ / ١٩١) وابن أبي شيبة في مصنفه (٧ / ٤٤٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٨ / ٤٥٦).

ما سبق كله كان سبباً رئيساً في جعل هذا البحث خاصاً بذكر الفتن، كما جعلنا نخصه في الكلام على حديث

(عبد الله بن عمرو) ويُضاف إلى ما سبق أمور، منها:

- كثرة التجرؤ على الثوابت والمسلمات من قبل بعض الناس، وهي دليل على وجود من يتكلم في الأمور والعظام وهذا من الفتن.

- تطاول أصحاب المنكر وتعاليتهم عن سماع الحق.

- حيرة بعض الصالحين في مواجهة ذلك كله.

- ذكر حديث عبد الله بن عمرو وشموليته لطرق التعامل مع الفتن.

-

-

موضوعات البحث:

قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة .

المقدمة : وضممتها : أهمية البحث، وخطة البحث.

والتمهيد وفيه تعريف الفتن.

وثلاثة مباحث.

المبحث الأول: أقسام الفتن.

المبحث الثاني: تخريج حديث عبد الله بن عمرو، ودراسة إسناده.

المبحث الثالث: وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: "الزم بيتك".

المطلب الثاني: "املك عليك لسانك".

المطلب الثالث: "ودع عنك أمر العامة ..".

الخاتمة: وفيه أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد:

يتعرض الفرد والجماعة لآثار الشبهات والشهوات من انحراف واختلاف وتفرق وتقاتل ، مما حفلت كتب السنة النبوية

المطهرة ببحره كله.

وقد جاءت السنة كثيراً بإطلاق الفتنة على الاختلاف والتفرق الواقع بين المسلمين، وما يترتب عليه من تحزب

وقتل وقتل ، وشاع استعمالها بهذا المعنى .

قال الحافظ ابن حجر . رحمه الله . : (والمراد بالفتنة ما ينشأ عن الاختلاف في طلب الملك ، حيث لا يُعلم

تعريف الفتن:

تعريف الفتن في اللغة:

الْفِتْنُ جمع فِتْنَةٍ، قال ابن فارس: "الفاء والتاء والنون، أصل صحيح يدل على الابتلاء والاختبار"^٥، وأصلها مأخوذ من قولك: فتنت الفضة والذهب، إذا أذبتهما بالنار لتمييز الرديء من الجيد^٦.

قال الخليل: الفِتْنُ: الإحراق، يقال: ورق فتين أي فضة محرقة، ويقال للحرة فتين، كأن حجارتها محرقة^٧، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾^٨ أي أحرقوهم بالنار^٩.

وافتن الرجل، وفتن فهو مفتون، إذا أصابته فتنة فذهب ماله أو عقله^{١٠}، والفتنة إعجابك بالشيء. والفتنة الضلالة والإثم، والفتان المضل عن الحق^{١١}.

والفتان الشيطان^{١٢}، وجاء في الحديث "المسلم أخو المسلم، يسعهما الماء والشجر، ويتعاونان على الفتان"^{١٣}.

ويقال فَتَنَ الرجل، أي زال عما كان عليه^{١٤}، ومنه قوله: ﴿إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أُوحِينا إِلَيْكَ﴾^{١٥}.

والفتنة ما يقع بين الناس من القتال^{١٦}، ومن ذلك قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: "إني أرى الفتن خلال بيوتكم"^{١٧}.

والفتنة القتل، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾^{١٨}.

تعريف الفتن اصطلاحاً:

والفتن: جمع فتنة، ومعنى الفتنة في الأصل: الاختبار والامتحان، ثم استعملت في كل أمر يكشفه الامتحان عن سوء وفيما أخرجته الخنة والاختبار إلى المكروه، ثم أطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالكفر والإثم والتحريق والفضيحة والفجور والقتال عن جهل طلباً للدنيا أو اتباعاً للهوى، وغير ذلك^(١٩).

(٤) الفتح: ١٣/٣٤.

^٥ مقاييس اللغة، لابن فارس (٤/٤٧٢)، مادة (فِتْن).

^٦ لسان العرب، لابن منظور (٦/٣٣٤٤) مادة (فِتْن).

^٧ الصحاح، للجوهري (٢١٧٥) مادة (فِتْن).

^٨ البروج، ١٠.

^٩ لسان العرب، لابن منظور (٦/٣٣٤٤) مادة (فِتْن).

^{١٠} القاموس المحيط، للفيروز آبادي (١٥٧٥) مادة (فِتْن).

^{١١} لسان العرب، لابن منظور (٦/٣٣٤٥) مادة (فِتْن).

^{١٢} الصحاح، للجوهري (٢١٧٥) مادة (فِتْن).

^{١٣} رواه أبو داود في سننه، كتاب الحجاج والأمانة، باب في قطاع الأرضين (٣٠٧٠)، (٣/٤٥١)، وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود (٣٠٩).

^{١٤} لسان العرب، لابن منظور (٦/٣٣٤٥) مادة (فِتْن).

^{١٥} الإسراء، ٧٣.

^{١٦} لسان العرب، لابن منظور (٦/٣٣٤٥) مادة (فِتْن).

^{١٧} رواه مسلم في الصحيح، كتاب الفتن، باب نزول الفتن كمواقع المطر، (٢٨٨٥)، (١٨/٢٢٤).

^{١٨} النساء، ١١٠.

١ فتح الباري، لابن حجر (٣٤/١٣).

قال الإمام أحمد: " الفتنه إذا لم يكن إمام يقوم بأمر الناس"^{٢٠}.

وعرفها الزمخشري بقوله : (والفتنة : الامتحان بشدائد التكليف من مفارقة الأوطان ومجاهدة الأعداء وسائر الطاعات الشاقة ، وهجر الشهوات والملاذ بالفقر والقحط وأنواع المصائب في الأنفس والأموال ، وبمصابرة الكفار على أذاهم وكيدهم وضرارهم)^(٢١) .

قال الراغب الأصفهاني: (أصل الفتنِ : إدخال الذهب النار لتظهر جودته من رداءته ، واستعمل في إدخال الإنسان النار ، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾^(٢٢) .

وخلاصة هذه التعريفات : أن الفتنة هي : الابتلاء والاختبار والامتحان، والفتنة المال والأولاد، والفتنة اختلاف الناس بالآراء، والعذاب والشدة والحرق بالنار ، وكل مكروه وآيل إليه ، كالكفر والإثم والفضيحة والفجور والمصيبة والقتل والقتال وغيرها من المكارهِ ، فإن كانت من الله فهي على وجه الحكمة ، وإن كانت من الإنسان بغير أمره . سبحانه . فهي مذمومة ، والله أعلم^{٢٣} .

المبحث الأول: (أقسام الفتن):

- تنقسم الفتنة من حيث نوعها إلى قسمين: فتنة الشبهات وفتنة الشهوات :

أولاً: فتنة الشبهات:

وهي أعظمها وتتعلق بالعقول والقلوب كالتشكيك في الدين ، والوقوع في الشرك أو البدع ونحوها.

سببها: ضعف البصيرة وقلة العلم لاسيما إذا اقترن ذلك بفساد القصد وحصول الهوى . فقل ما شئت في ضلال سيء القصد ، الحاكم عليه الهوى لا الهدى مع ضعف بصيرته وقلة علمه .

فهو من الذين قال الله تعالى فيهم: "إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ"^{٢٤} وقد أخبر الله سبحانه أن اتباع الهوى يضل عن سبيل الله فقال: "يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا الْحِسَابَ"^{٢٥} .

خطورها : تكمن خطورتها في أن مآل صاحبها إلى الكفر والنفاق ، فهي فتنة المنافقين وأهل البدع على حسب مراتب بدعهم حيث اشتبه عليهم الحق بالباطل والهدى بالضلال والعياذ بالله .

النجاة منها : تكون بتجريد اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم ، وتحكيم سنته ، وذلك بتعلمها ، فالهدى كله دائر على أقواله وأفعاله وكل ما خرج عنها فهو ضلال ، فإذا عُقد القلب على ذلك وأعرض عما سواه ، بأن يزنه بما جاء به

^{٢٠} المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة للأحمدي (١٢/٢) .

^{٢١} الكشف (٣ / ١٨٢) .

^{٢٢} .الذاريات : ١٣ ، وينظر: مفردات القرآن (٣٧١) ، فتح الباري (٣١/١٣) .

^{٢٣} ينظر : موقف المسلم من الفتن على ضوء الكتاب والسنة، حسين الحارثي (٣٠) .

^{٢٤} النجم ٢٣ .

^{٢٥}سورة ص ٢٦ .

الرسول صلى الله على وسلم فإن وافقه قبله ، وإن خالفه رده ولو قاله من قاله ؛ فهذا الذي ينجو من فتنة الشبهات ، وإن فاته شيء من ذلك أصابه من فتنتها بحسب ما فاته منه .

عن المقدام بن معدي كرب يقول : حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم يوم خيبر أشياء ثم قال يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكئ على أريكته يحدث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل ما حرم الله.^{٢٦}

عن أبي رافع وغيره رفعه : قال لا ألفين أحدكم متكئا على أريكته يأتيه أمر مما أمرت به أو نهيته عنه فيقول لا أدري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه".^{٢٧}

ثانياً: فتنة الشهوات:

وهي الغالبة كالافتتان بالنساء ، أو بالمال الحرام ، أو بالمنصب ونحوها .

سببها : كثرة المعاصي وفسق الأعمال وسيطرة الدنيا على القلوب أو الإسراف في الشهوات المباحة إلى اتباع الهوى، والغفلة عن الطاعة، ورفقة السوء، والاحتقار والاستهتار بما فعل من معاصي، وعدم معرفة قدر الدنيا.

خطرها : تُحدث في الأرض أنواعاً من الفساد في المياه والهواء، والزرع والثمار والمسكن؛ قال - تعالى - : { ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ }^{٢٨} وهي سبب لزوال النعم.

وتكون النجاة منها : باليقين بوعد الله ووعيده .

وقد ذكر في القرآن هذين القسمين في آية واحدة في قوله تعالى : " { كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالاً وَأَوْلَاداً فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلْقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلْقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلْقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا }"^{٢٩} ، أي تمتعوا بنصيبيهم من الدنيا وشهواتها والخلاق هو النصيب المقدر ثم قال : (وخضتم كالذي خاضوا) فهذا الخوض بالباطل وهو الشبهات.

فأشار سبحانه في هذه الآية إلى ما يحصل به فساد القلوب والأديان من الاستمتاع بالخلاق والخوض بالباطل لأن فساد الدين إما أن يكون باعتقاد الباطل والتكلم به أو بالعمل بخلاف العلم الصحيح .

فالأول: هو البدع وما والاها ، والثاني: فسق الأعمال.

فالأول فساد من جهة الشبهات ، والثاني فساد من جهة الشهوات

ولهذا كان السلف يقولون : احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه وصاحب دنيا أعمته دنياه.

وكانوا يقولون : احذروا فتنة العالم الفاجر والعابد الجاهل فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

^{٢٦} أخرجه أحمد (٤ / ١٣٢)،

^{٢٧} أخرجه أبو داود (٤ / ٣٢٩)، والترمذي (٥ / ٣٧)،

^{٢٨} الروم ٤١ .

^{٢٩} التوبة ٦٩ .

وأصل كل فتنة إنما هو من تقديم الرأي على الشرع والهوى على العقل.^{٣٠}

وفتنة الشبهات تدفع كما ذكرنا بالعلم واليقين ، وفتنة الشهوات تدفع بالصبر واليقين بوعد الله ووعيده ولذلك جعل سبحانه إمامة الدين منوطة بهذين الأمرين فقال: "وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ"^{٣١}.
فدل على أنه بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين.

وجمع بينهما أيضا في قوله: "وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ"^{٣٢} فتواصوا بالحق الذي يدفع الشبهات وبالصبر الذي يكف عن الشهوات.

وقال جاء في حديث مرسل: إن الله يحب البصر النافذ عند ورود الشبهات ويجب العقل الكامل عند حلول الشهوات^{٣٣}.
فبكمال العقل والصبر تدفع فتنة الشهوة وبكمال البصيرة واليقين تدفع فتنة الشبهة.

عن عبد الله بن مسعود قال: أتى علينا حين ولسنا نقضي ولسنا هنالك وإن الله عز وجل قدر أن بلغنا ما ترون فمن عرض له قضاء بعد اليوم فليقض فيه بما في كتاب الله فإن جاء أمر ليس في كتاب الله فليقض بما قضى به نبيه فإن جاء أمر ليس في كتاب الله ولم يقض به نبيه صلى الله عليه وسلم فليقض بما قضى به الصالحون ولا يقول أحدكم إني أخاف وإني أخاف فإن الحلال بين والحرام بين وبين ذلك أمور مشتبهة فدع ما يريبك إلى ما لا يريبك.^{٣٤}

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: أخاف عليكم الهرج قالوا: وما الهرج يا رسول الله؟ قال: القتل قالوا: وأكثر مما يقتل اليوم إنا لنقتل في اليوم من المشركين كذا وكذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ليس قتل المشركين ولكن قتل بعضكم بعضا قالوا: وفينا كتاب الله؟ قال: وفيكم كتاب الله عز وجل قالوا: ومعنا عقولنا؟ قال: إنه ينتزع عقول عامة ذلك الزمان ويخلف هباء من الناس يحسبون أنهم على شيء وليسوا على شيء.^{٣٥}

قال عبد الله: كيف أنتم إذا لبستكم فتنة يهرم فيها الكبير ويروبو فيها الصغير ويتخذها الناس سنة فإذا غيرت قالوا غيرت السنة قالوا ومتى ذلك يا أبا عبد الرحمن قال إذا كثرت قراؤكم وقلت فقهاؤكم وكثرت أمراؤكم وقلت أمناؤكم والتتمت الدنيا بعمل الآخرة.^{٣٦}

أقسام الفتن من حيث الزمن:

وتنقسم إلى فتن الحياة، وفتن الممات، والأصل في هذا التقسيم حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة

^{٣٠} إغاثة اللهفان لابن القيم (٢ / ١٦٧).

^{٣١} السجدة ٢٤.

^{٣٢} العصر ٣.

^{٣٣} من حديث عمران بن حصين أخرجه البيهقي في الزهد الكبير (١ / ٣٤٦)، والقضاعي في مسند الشهاب (٢ / ١٥٢).

^{٣٤} أخرجه النسائي (٨ / ٢٣٠)، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ١١٥) قال الشيخ الألباني: صحيح لغيره.

^{٣٥} المستدرک - (٤ / ٤٩٨)

^{٣٦} أخرجه الدارمي (١ / ٧٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (٥ / ٣٦١)، والشاشي في مسنده (٢ / ٩٠).

الْمَسِيحِ الدَّجَالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِّ وَالْمَعْرَمِ فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَعْرَمِ فَقَالَ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ^{٣٧}

فقوله (المحيا): بفتح الميم ما يعرض للمرء مدة حياته من الافتتان بالدنيا وشهواتها والجهالات أو هي الابتلاء مع زوال الصبر، (والممات) أي ما يفتن به عند الموت، أضيفت له لقبها منه، ويكون المراد على هذا كما قبل ذلك، أو المراد فتنة القبر أي سؤال الملكين والمراد من شر ذلك ، وقد صحح يعني في حديث أسماء الآتي في الجناز " إنكم تفتنون في قبوركم مثل أو قريبا من فتنة الدجال"^{٣٨} ولا يكون مع هذا الوجه متكررا مع قوله " عذاب القبر " لأن العذاب مرتب عن الفتنة والسبب غير المسبب. قال الكمال : والجمع بين فتنة الدجال وعذاب القبر وبين فتنة المحيا والممات من باب ذكر العام بعد الخاص.^{٣٩}

قال النووي: ومعنى فتنة المحيا والممات: الحياة والموت، واختلفوا في المراد بفتنة الموت فقيل: فتنة القبر وقيل يحتمل أن يراد بها الفتنة عند الاحتضار، وأما الجمع بين فتنة المحيا والممات وفتنة المسيح الدجال وعذاب القبر فهو من باب ذكر الخاص بعد العام ونظائره كثيرة.^{٤٠}

١- فتن الدنيا: وقالوا: فتنة الحيا: كل ما يعطاه الإنسان من خير أو شر؛ فإن كان خيرا امتحن فيه، هل يؤدي شكر النعمة؟ وإن كان شرا؛ هل يصبر عليه.^{٤١} وهي أكثر من أن تحصى.

٢- فتن الممات:

فتنة الممات تحتل شيئين أحدهما حالة الموت، فإن الشيطان يفتن الآدمي حينئذ تارة بتشكيكه في خالقه وفي معاده وتارة بالتسخط على الأقدار وتارة بإعراضه عن التهيؤ للقعود إلى ربه بتوبة من زلة واستدراك لهفوة إلى غير ذلك والثاني أنها فتنة القبر بعد الموت.^{٤٢}

قال الطيبي فتنة الحيا: الابتلاء مع زوال الصبر والرضا والوقوع في الآفات والإصرار على السيئات وفتنة الممات سؤال منكر ونكير مع الحيرة والخوف وعذاب القبر.^{٤٣}

قال ابن بطلان: " وينبغي للمرء أن يرغب إلى ربه في رفع ما نزل ودفع ما لم ينزل ويستشعر الافتقار إلى ربه في جميع ذلك وكان صلى الله عليه و سلم يتعوذ من جميع ما ذكر دفعاً عن أمته وتشريعاً لهم ليبين لهم صفة المهم من الأدعية".^{٤٤}

^{٣٧} صحيح البخاري كتاب صفة الصلاة/ باب الدعاء قبل السلام (١ / ٢٨٦) برقم ٧٩٨ ، ومسلم كتاب المساجد (٢ / ٩٣) برقم ١٣٥٣ .

^{٣٨} صحيح البخاري كتاب الوضوء/ باب من لم يتوضأ إلا من الغشي (١ / ٧٩) برقم ١٨٢ .

^{٣٩} فيض القدير - (٢ / ١٢٣) . فتح الباري لابن حجر (٣ / ٢٣٦) .

^{٤٠} شرح النووي على مسلم - (٥ / ٨٥)

^{٤١} شرح بلوغ المرام - (٦٨ / ٤)

^{٤٢} كشف المشكل من حديث الصحيحين - (١ / ٩٢١) .

^{٤٣} مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (٤ / ٢٦)

أقسام الفتن باعتبار حجمها وقوتها:

وتنقسم إلى فتن صغار وفتن كبار عظيمة، فقد جاء عن حذيفة بن اليمان أنه قال: وَاللَّهِ إِنِّي لَأَعْلَمُ النَّاسَ بِكُلِّ فِتْنَةٍ هِيَ كَائِنَةٌ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَمَا بِي إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَسْرَّ إِلَيَّ فِي ذَلِكَ شَيْئًا لَمْ يُحَدِّثْهُ غَيْرِي وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ وَهُوَ يُحَدِّثُ بَجَلِيسًا أَنَا فِيهِ عَنِ الْفِتَنِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- « مِنْهُنَّ ثَلَاثٌ لَا يَكْدَنَ يَدْرَنَ شَيْئًا وَمِنْهُنَّ فِتْنٌ كَرِيحِ الصَّيْفِ مِنْهَا صِعَاژٌ وَمِنْهَا كِبَارٌ ». قَالَ حُذَيْفَةُ فَذَهَبَ أَوْلَيْكَ الرَّهْطُ كُلُّهُمْ غَيْرِي".^{٤٥}

وقوله ومنهن فتن كريح الصيف أي فيها بعض الشدة وإنما خص الصيف لأن رياح الشتاء أقوى. وقيل: أي فيها شيء من الشدة، ولكنها شدة تنقضي وليست كريح الشتاء.^{٤٦}

وقول حذيفة -رضي الله عنه-: "فذهب أولئك الرهط كلهم غيري"، يعني الذي سمعوا هذا والرهط العصابة دون العشرة ويقال بل إلى الأربعين.^{٤٧} وكأنه يخشى أن تدركه شيء من هذه الفتن!

وجاء عن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ أَيْكُمْ يَحْفَظُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْفِتْنَةِ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنَا أَحْفَظُ كَمَا قَالَ: قَالَ هَاتِ إِنَّكَ لَجَرِيءٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَجَارِهِ تُكْفَرُهَا الصَّلَاةُ وَالصَّدَقَةُ وَالْأَمْرُ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ قَالَ لَيْسَتْ هَذِهِ وَلَكِنْ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ قَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَا تَأْسَ عَلَيْكَ مِنْهَا إِنَّ بَيْنَكَ وَبَيْنَهَا بَابًا مُعَلَّقًا.^{٤٨}

فيكون بهذا الحديث أن الفتن منها ما هو خاص لكل فرد، ولا ينفك عنه، ومنها ما هو عام على الجميع وهي التي سأل عنها عمر رضي الله عنه.

قال ابن رجب: "والفتنة نوعان: أحدهما: خاصة، تختص بالرجل في نفسه. والثاني: عامة، تعم الناس. فالفتنة الخاصة: ابتلاء الرجل في خاصة نفسه بأهله وماله وولده وجاره، وقد قال تعالى: (إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ)^{٤٩}؛ فإن ذلك غالباً يلهي عن طلب الآخرة والاستعداد لها، ويشغل عن ذلك. ثم قال: فظهر بهذا: أن الإنسان يبتلى بماله وولده وأهله وجاره المجاور له، ويفتن بذلك، فتارةً يلهيه الاشتغال به عما ينفعه في آخرته، وتارةً تحمله محبته على أن يفعل لأجله بعض ما لا يحبه الله، وتارةً يقصر في حقه الواجب عليه، وتارةً يظلمه ويأتي إليه ما يكرهه الله من قول أو فعل، فيسأل عنه ويطلب به .

فإذا حصل للإنسان شيء من هذه الفتن الخاصة، ثم صلى أو صام أو تصدق أو أمر بمعروف أو نهي عن منكر كان ذلك كفارةً له، وإذا كان الإنسان تسوؤه سيئته، ويعمل لأجلها عملاً صالحاً كان ذلك دليلاً على إيمانه".^{٥٠}

^{٤٤} فتح الباري لابن حجر - دار المعرفة (١١ / ١٧٧).

^{٤٥} أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة (٨ / ١٧٢) برقم ٧٤٤٤.

^{٤٦} المخرج من الفتن (١ / ٣) خالد السبت.

^{٤٧} كشف المشكل من حديث الصحيحين - (١ / ٢٦١)

^{٤٨} صحيح البخاري كتاب مواقيت الصلاة/ باب الصلاة كفارة (١ / ١٩٦) ٥٠٢، ومسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة (٨ / ١٧٣) ٧٤٥٠.

^{٤٩} الغابن ١٥.

^{٥٠} فتح الباري. لابن رجب (٣ / ٣٥).

"وأما الفتن العامة: فهي التي تموج موج البحر، وتضطرب، ويتبع بعضها بعضاً كأموج البحر، فكان أولهما فتنة قتل عثمان -رضي الله عنه-، وما نشأ منها من افتراق قلوب المسلمين، وتشعب أهوائهم وتكفير بعضهم بعضاً، وسفك بعضهم دماء بعض، وكان الباب المغلق الذي بين الناس وبين الفتن عمر -رضي الله عنه-، وكان قتل عمر كسراً لذلك الباب، فلذلك لم يغلق ذلك الباب بعده أبداً.

وكان حذيفة أكثر الناس سؤالاً للنبي -صلى الله عليه وسلم- عن الفتن، وأكثر الناس علماً بها، فكان عنده عن النبي -صلى الله عليه وسلم- علم بالفتن العامة والخاصة، وهو حدّث عمر تفاصيل الفتن العامة، وبالباب الذي بين الناس وبينها، وأنه هو عمر، ولهذا قال: إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، والأغاليط: جمع أغلوط، وهي التي يغالط بها، واحدها: أغلوطه ومغلطة، والمعنى: أنه حدثه حديثاً حقاً، ليس فيه مريّة، ولا إيهام.

وهذا مما يستدل به على أن رواية مثل حذيفة يحصل بها لمن سمعها العلم اليقيني الذي لا شك فيه؛ فإن حذيفة ذكر أن عمر علم ذلك وتيقنه كما تيقن أن دون غد الليلة، لما حدثه به من الحديث الذي لا يحتمل غير الحق والصدق.

وقد كانت الصحابة تعرف في زمان عمر أن بقاء عمر أمان للناس من الفتن^{٥١}.

ويبلغ من شدة هذه الفتن أن تخرج المسلم عن دينه، ففي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح المرء مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أحدكم دينه بعرض قليل من الدنيا"^{٥٢}.

ويبلغ ثقل هذه الفتن وشدها على المسلم أن يتمنى الموت ويرجوه كي يتخلص من البلاء، فعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيقول: يا ليتني كنت مكانه"^{٥٣}.

وفي تشبيهه صلى الله عليه وسلم الفتن بأنها تموج كموج البحر إشارة واضحة إلى قوتها وشدها، ثم إلى تتابعها، وإلى أنه لا يمكن لأحد الوقوف أمامها؛ لأنه لا يمكن لأحد أن يقف أمام موج البحر، وأنّ الناس أمام هذه الفتن ستضطرب حركتهم، ويختل توازنهم، وتضيق صدورهم، وينقطع نفسهم، وهذه حال من يصارع الموج.

وإذا علمنا أنّ أمواج البحر تتكاثر وتتعاظم، مع شدة الريح وانتشار السحاب؛ فإنّ لنا أن نتصور جو الفتن بأنه جو مظلم، فالذي يشاهد موج البحر العاتي فتبدو أمامه زرقة البحر مع ظلمة السحاب وكثرتة، مع شدة هبوب الرياح وقوتها؛ فكذلك الذي يواجه هذه الفتن، تحيط به الظلمات والأعاصير، فهو مهموم مغموم ظاهراً وباطناً، وللموج صوت وأي صوت؟ وهذه الفتن صوت، لا يسمع الواقف فيها صوت ما عداها، وإنما تطبق عليه، فهي كالصاخة، فيظل الواقف فيها

^{٥١} المرجع السابق.

^{٥٢} أخرجه مسلم كتاب الإيمان (١ / ٧٦) / ٣٢٨.

^{٥٣} صحيح البخاري كتاب الفتن / باب لا تقوم الساعة حتى يغط أهل القبور (٦ / ٤ / ٢٦٠٤) ، ومسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة صحيح مسلم (٨ / ١٨٢)

حيراناً خائفاً قلقاً، يتطلع إلى الأمان ولا يجده، وهل ينجو من البحر وشدة موجه إلا من بعد عنه، وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم: «فخير الناس يومئذ: مؤمن معتزل في شعب من الشعاب، يتقي الله، ويذر الناس من شره»^{٥٤}. والناس حين يواجهون أمواج البحر مجتمعين، في أية حال من حالاته، فإنه يسمع لهم صراخ وعويل وتهاوش وتخاصم، لا يسمع الواحد منهم الآخر، وكل يريد أن ينجو بنفسه، وقد يُغرق الواحد منهم غيره لينجو هو.^{٥٥}

المبحث الثاني: تخريج حديث عبد الله بن عمرو، ودراسة إسناده.

وهناك أحاديث كثيرة تكلمت عن الفتن وحذرت منها، و أرشدت المسلم إلى ما يجب عليه فعله حين تحيط به الفتن، وكيف يتعامل مع الناس في وقتها، منها حديثنا الآتي، والذي يدور عليه هذا البحث.

قال الإمام أحمد في "مسنده" ٥٦٦/١١ :

حَدَّثَنَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدَّثَنَا يُونُسُ يَعْنِي ابْنَ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ هِلَالِ بْنِ خَبَّابٍ أَبِي الْعَلَاءِ قَالَ حَدَّثَنِي عِكْرِمَةُ حَدَّثَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو قَالَ بَيْنَمَا نَحْنُ حَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ ذُكِرُوا الْفِتْنَةَ أَوْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ قَالَ: إِذَا رَأَيْتَ النَّاسَ قَدْ مَرَجَتْ عَنْهُمْ وَخَفَّتْ أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ قَالَ: فَفُئْتُ إِلَيْهِ فُئْتُ لَهُ: كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: الزَّمْ بَيْنَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ .

تخريج الحديث والكلام على سنده:

- أخرجه أبو داود ٢١٧/٤ (٤٣٤٢) ، وابن أبي شيبة في "مصنفه" ٩/١٥ (٣٨٢٧٠) ، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٢١٧/٣ (١١٨١) ، والطبراني في "الدعاء" ٥٤٦/١ (١٩٦٣) ، والخطابي في "العزلة" ١٠/١ ، وأبونعيم في "الحلية" ١٧٢٣/٣ من طريق أبي نعيم به نحوه .
- وأخرجه النسائي في "الكبرى" ٥٩/٦ (٩٩٦٢) ، وفي "عمل اليوم والليلة" ٢٣٠/١ (٢٠٥) ، وأبو عمرو الداني في "السنن الواردة في الفتن" ٣٦٣/٢ ، وابن المبارك في "مسنده" ١٥٩/١ (٢٥٧) ، وابن السني في "عمل اليوم والليلة" ٣٣٧/٢ (٤٣٨) ، والحاكم في "مستدرکه" ٢٨٢/٤ (٧٧٥٨) - ٥٢٤/٤ (٨٦٠٠) من طرق عن يونس بن أبي إسحاق به نحوه .
- وتوبع عكرمة :
- فأخرجه البزار في "مسنده" ٤٤٧/٦ (٢٤٨٤) من طريق سعيد بن زربي .
- وأخرجه البزار في "مسنده" ٤٤٧/٦ (٢٤٨٥) من طريق عقبة بن أوس .^(٥٦)

^{٥٤} أخرجه مسلم كتاب الإمامة (٦ / ٣٩) ٤٩٩٥.

^{٥٥} موقف المسلم من الفتن.

(٥٦) وقال البزار : هذا الحديث يروى عن عبد الله بن عمرو من وجوه ، ولا نعلم له إسناداً أحسن من اسناد عقبة بن أوس عن عبد الله بن عمرو .

- وأخرجه أحمد ٦٢٦/١١ (٧٠٤٩) من طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .
- وأخرجه أبو داود ٢١٦/٤ (٤٣٤٤) ، وأحمد ٦٣٤/١١ (٧٠٦٣) ، والطحاوي في "مشكل الآثار" ٢١٧/٣ (١١٧٦) ، والحاكم في "مستدرکه" ١٧١/٢ (٢٦٧١) - ١٤٨١/٤ (٨٣٤٠) من طرق عن عمارة بن عمرو بن حزم .
- وأخرجه أبو عمرو الداني ٣٦٥/٢ ، وأحمد ٥٤/١١ (٦٥٠٨) ، من طريق الحسن مع خلاف في سماعه من عبد الله بن عمرو بن العاص .

كلهم (عكرمة ، وسعيد بن زري ، وعقبة بن أوس ، وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ، وعمارة بن عمرو ، والحسن) عن عبد الله بن عمرو بن العاص به ، غير أن رواية يونس بن أبي إسحاق عن هلال بن خباب عن عكرمة عن عبد الله بن عمرو قد تفردت بلفظ "الزم بيتك" ، وأمسك عليك لسانك" ولم يتابعه عليها أحد ، حتى أن شاهد هذا الحديث من حديث أبي هريرة رضي الله عنه^(٥٧) وغيره^(٥٨) لم تأتي بهذه الزيادة.

وقد قال الألباني : "القلب يميل إلى أنها زيادة شاذة ، لأن الذي تفرد بها وهو هلال بن خباب وفيه كلام كما سبق ، فلا يحتج به إلا إذا خالف الثقات" وحكمه على هذا الإسناد بأنه حسن صحيح ينصرف إلى أصله من غير الزيادة والله أعلم ، وهذه علة ظاهرة كما لا يخفى فمن أتى بهذه الزيادة يونس أو هلال ربما اشتبه عليه حديث بحديث فلا يمكن أن يقال أن هذه الزيادة لها شاهد من حديث عقبة ، وإنما يقال : إنها زيادة شاذة ، ومعناه قد أتى به حديث عقبة^(٥٩) ، وثوبان^(٦٠) ، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهم^(٦١) لا حديث عبد الله بن عمرو .

^(٥٧) أخرجه ابن حبان في "صحيحه" ٢٩٧/١٣ ، ٢٨٢ ، ١٢٤/١٥ ، ١٢٥ مرفوعاً عن أبي هريرة .

(٥٨) للحديث شاهد من حديث سهل بن سعد قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس فيه عمرو بن العاص وابناه... فذكر مظه - أي مثل حديث أبي هريرة - وزاد وإياكم والتلون في الدين . انظر فتح الباري ٣٩/١٣ .

أخرجه الطبراني في الكبير (٥٨٦٨) (٥٩٨٤) ، وذكره الهيثمي في المجمع ٥٤٨/٧ (١٢٢٢٠١) وقال : رواه الطبراني بإسنادين ، رجال أحدهما ثقات . ولفظه عند الطبراني : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعبد الله بن عمرو : كيف بك إذا بقيت في حثالة من الناس وقد مزجت عهدهم وأماناتهم واختلفوا ، فصاروا هكذا ؟ وشك بين أصابعه قال : الله ورسوله أعلم ، قال : "اعمل بما تعرف ودع ما تنكر ، وإياك والتلون في دين الله ، وعليك بخاصة نفسك ودع عوامهم . وذكر الهيثمي أيضاً شاهداً من حديث عبادة بن الصامت في "المجمع" ٥٤٨/٧ (١٢٢٠٣) وقال : رواه الطبراني وفيه من لم أعرفه ، وزباد بن عبد الله : وثقه ابن حبان وضعفه جماعة .

وقد ذكر الهيثمي هذا الحديث في "معجمه" (١٢٢٠٠) من رواية ابن عمر وقال : رواه أبو يعلى عن شيخه سفيان بن وكيع ، وهو ضعيف . وذكره عن عمر بن الخطاب (١٢٢٢٣) وقال : رواه الطبراني في الأوسط ، وفيه من لم أعرفهم .

^(٥٩) أن عقبة بن عامر رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : قلت يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : (أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك وابك على خطيئتك) .

أخرجه الترمذي ٦٠٥/٤ ، وابن المبارك في الزهد ٤٣/١ ، وابن وهب في الجامع ٣٧٨/١ ، وأحمد في "مسنده" ١٤٨/٤ ، ١٥٨/٤ ، ٢٥٩/٥ ، وفي "الزهد" ١٥/١ ، وهناد في الزهد ٢٦٥/١ ، ٥٤٥/٢ ، وابن أبي الدنيا في الرقة والبكاء ٣١/١ ، وفي الصمت ٤١/١ ، وفي العزلة والإنفراد ٤٨/١ ، وابن أبي عاصم الزهد ١٦/١ ، والرويان في مسنده ١٤٦/١ ، والطبراني في مسند الشاميين ١٥٦/١ ، وابن عدي في الكامل ٣٢٤/٤ ، ١٦٥/٥ ، ٢١٦/٧ ، والماليني في الأربعمائة في شيوخ الصوفية ١٣٦/١ ، وأبو نعيم في "الحلية" ١٧٥/٨ ، ٩/٢ ، والبيهقي في "شعب الإيمان" ٤٩٢/١ ، ٢٣٩/٤ ، ٢٦٠/٦ ، وفي الآداب ١٧٦/١ ، وفي الزهد الكبير ١٣٠/١ ، والخطيب في "تاريخ بغداد" ٢٧٠/٨ ، وابن البناء في الرسالة المغنية ٣٥/١ ، وابن الشجري في "الأمالي الشجرية" ٣٧٦/١ ، ٤١٢/١ ، والبغوي في شرح السنة ٣١٧/١٤ ، وابن عساکر في تاريخ دمشق ٤٠/٤٩٦ ، ٢٧٥/٤٨ ، وأبو طاهر السلفي في معجم السفر ١١٩/١ ، وابن قدامة المقدسي في المتحابين في الله ٩٦/١ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٢١٩/٦ .

(٦٠) أن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (طوبى لمن ملك لسانه ، ووَسَّعَهُ بَيْتُهُ ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ) . أخرجه أبو داود في الزهد ٣٩٧/١ ، وابن أبي الدنيا في العزلة والإنفراد ٤٩/١ ، والطبراني في المعجم الأوسط ٢١/٣ ، والصغير ١٤٠/١ ، وقال : لا يروى هذا الحديث عن ثوبان إلا بهذا الإسناد تفرد به عيسى بن سليمان وهو ثقة . وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير ٥١/٣ .

وأصل هذا الحديث علقه البخاري (٤٨٠) بلفظ: "يا عبد الله بن عمرو، كيف بك إذا بقيت في حُثالة من الناس بهذا" ووصله إبراهيم الحري في "غريب الحديث"، وحنبل بن إسحاق في "الفتن" كما في الفتح ٥٦٦/١، ٣٩/١٣، وفي تعليق التعليق ٢٤٥/٢.

وهذا الحديث صححه الحاكم ٣١٥/٤ فقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وحسنه المنذري في "الترغيب والترهيب" ٤٤٣/٣، والعراقي في "تخريج الإحياء" ٢٣٢/٢، وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢٠٥) وقال: "وهو كما قالوا -أي أن الحديث حسن- فإن هلالا هذا فيه كلام يسير لا ينزل حديثه عن رتبة الحسن إلا إذا حولف، وقد توبع على أصل الحديث"، وصححه شعيب الأرنؤوط. فالذي يظهر من خلال هذا أن أصل الحديث صحيح، وزيادة هلال شاذة كما قال الألباني رحمه الله والله أعلم.

المبحث الثالث:

من الحديث (قال: "كَيْفَ أَفْعَلُ عِنْدَ ذَلِكَ جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: الزَّمْ بَيْتَكَ وَامْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ وَخُذْ مَا تَعْرِفُ وَدَعْ مَا تُنْكِرُ وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةٍ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمَّ الْعَامَّةِ).

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قوله صلى الله عليه وسلم: "الزم بيتك".

أول توجيه ذكره صلى الله عليه وسلم قوله: (الزم بيتك) قال الطيبي: "الزم) بكسر فسكون ففتح، (بيتك) أي محل سكنك بيتا أو خلوة أو غيرها.

والأمر في الظاهر وارد على البيت وفي الحقيقة على المخاطبة أي تعرض لما هو سبب لزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلو عن الأغيار. "٦٢

(٦١) حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- «إِنَّ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فِتْنًا كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ يُصْبِحُ الرَّجُلُ فِيهَا مُؤْمِنًا وَيُؤْمِسُ كَافِرًا وَيُؤْمِسُ مُؤْمِنًا وَيُصْبِحُ كَافِرًا الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَأْشِيِّ وَالْمَأْشِيُّ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي». قَالُوا فَمَا تَأْمُرُنَا قَالَ «كُونُوا أَخْلَاصَ بِيُوتِكُمْ».

أخرجه أبو داود في سننه ١٦٤/٤، ونعيم بن حماد في الفتن ١٠٧/١، وأحمد ٤٠٨/٤، والآجري في الشريعة ٤١/١، والدارقطني في المؤلف والمختلف ٥٩/٤، والخطابي في العزلة ١١/١، والحاكم في المستدرک ٤٨٧/٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وابن البنا في الرسالة المغنية ٤٣/١، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٢٦٢/٩. وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٦٢) فيض القدير: ٢١٠/٢، ٢٤٩/٢

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن بين أيديكم فتنا كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمنا ويمسي كافرا ، ويمسي مؤمنا ويصبح كافرا ، القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشي ، والماشي فيها خير من الساعي . قالوا فما تأمرنا ؟ قال كونوا أحلاس ببيوتكم."^{٦٣}

قال الخطابي : "والعزلة عند الفتنة سنة الأنبياء وعصمة الأولياء وسيرة الحكماء الألباء والأولياء فلا أعلم لمن عابها عذرا لاسيما في هذا الزمان القليل خيره البكيء دره وبالله نستعيد من شره وريبه"^{٦٤} .

وقد اختلف السلف في أصل العزلة، فقال الجمهور الاختلاط أولى لما فيه من اكتساب الفوائد الدينية للقيام بشعائر الإسلام وتكثير سواد المسلمين وإيصال أنواع الخير إليهم من إعانة وإغاثة وعبادة وغير ذلك. وقال قوم العزلة أولى لتحقيق السلام بشرط معرفة ما يتعين. وقال النووي: المختار تفضيل المخالطة لمن لا يغلب على ظنه أنه يقع في معصية، فإن أشكل الأمر فالعزلة أولى. وقال غيره: يختلف باختلاف الأشخاص، فمنهم من يتحتم عليه أحد الأمرين ومنهم من يترجح؛ فمن يتحتم عليه المخالطة من كانت له قدرة على إزالة المنكر فيجب عليهما عينا وإما كفاية بحسب الحال والإمكان، ومن يترجح من يغلب على ظنه أنه يسلم في نفسه إذا قام في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما إذا تسويا فيختلف باختلاف الأحوال فإن تعارضا اختلف باختلاف الأوقات، فمن يستوي من يأمن على نفسه ولكنه يتحقق أنه لا يطاع، وهذا حيث لا يكون هناك فتنة عامة.^{٦٥}

وذكر الخطابي في "كتاب العزلة" أن العزلة والاختلاط يختلف باختلاف متعلقاتهما فتحمل الأدلة الواردة في الحض على الاجتماع على ما يتعلق بطاعة الأئمة وأمور الدين وعكسها في عكسه، وأما الاجتماع والافتراق بالأبدان فمن عرف الاكتفاء بنفسه في حق معاشه ومحافظه دينه فالأولى له الانكفاف عن مخالطة الناس بشرط أن يحافظ على الجماعة والسلام والرد وحقوق المسلمين من العيادة وشهود الجنازة ونحو ذلك، والمطلوب إنما هو ترك فضول الصحبة لما في ذلك من شغل البال وتضييع الوقت عن المهمات، ويجعل الاجتماع بمنزلة الاحتياج إلى الغذاء والعشاء فيقتصر منه على ما لا بد له منه فهو أروح للبدن والقلب والله أعلم.

فمن قال بأفضلية الاختلاط استدل بأحاديث منها قول النبي صلى الله عليه وسلم (الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ)^{٦٦}

^{٦٣} أخرجه أبو داود (٤ / ١٦٤)، وأحمد (٤ / ٤٠٨) وقال شعيب الأرنؤوط: حديث صحيح، وابن أبي شيبة - (٧ / ٤٤٨)، والآجري في الشريعة (١ / ٤١)، ونعيم بن حماد في الفتن (١ / ١٠٧)، والحاكم (٤ / ٤٨٧) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، والخطابي في العزلة (١ / ١١)، والدارقطني في المتوفى والمختلف (٤ / ٥٩)، وابن البنا في الرسالة المغنية (١ / ٤٣)، وصححه الألباني في المشكاة (٣ / ١٧٢).

^{٦٤} العزلة ، (١ / ٨).

^{٦٥} يتصرف من كتاب فتح الباري ، كتاب الفتن ، باب التعرب في الفتنة.

^{٦٦} أخرجه الترمذي (٤ / ٦٦٢)، وابن ماجه (٢ / ١٣٣٨)، وأحمد (٢ / ٤٣)، والبيهقي في الكبير (١٠ / ٨٩) وفي شعب الإيمان (٧ / ١٢٧)، وفي في الآداب (١ / ٩٩)، وفي "الأربعون الصغرى" (١ / ١٦٧)، والطبراني في الكبير (١١ / ١٥٥)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤ / ٨٣)، والطالسي في مسنده (٣ / ٣٩٩) و البخاري في الأدب المفرد (١ / ١٤٠)، و ابن أبي شيبة في مسنده (٢ / ٤٢٥)، وفي مصنفه (٥ / ٢٩٣)، وابن الجعد في مسنده (١ / ١٢١)، و أبو نعيم في أخبار أصبهان (٢ / ٤٣١)، والخرائطي في اعتلال القلوب (١ / ٧٥)، و ابن شاهين الترغيب في فضائل الأعمال (١ / ٣١٥)، والسمرقندي في الفوائد المنتقاة العوالي الحسان (١ / ٣٢)، وهناد في الزهد (٢ / ٥٨٨). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة - مختصرة - (٢ / ٦١٤).

قال الصنعاني في كتابه "سبل السلام": (فيه أفضلية من يخالط الناس مخالطة يأمرهم فيها بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويجسن معاملتهم فإنه أفضل من الذي يعتزلم ولا يصبر على المخالطة والأحوال تختلف باختلاف الأشخاص والأزمان ولكل حال مقال).^{٦٧}

وأما من قال بأفضلية العزلة فاستدل بأدلة منها حديث ابن عباس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "ألا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ النَّاسِ رَجُلٌ مُمْسِكٌ بِعِنَانِ فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِالَّذِي يَتْلُوهُ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي غُنَيْمَةٍ لَهُ يُؤَدِّي حَقَّ اللَّهِ فِيهَا"^{٦٨}. وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟" فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ. قَالُوا: "ثُمَّ مَنْ؟" قَالَ: مُؤْمِنٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَتَّقِي اللَّهَ وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ"^{٦٩}. قال الحافظ ابن حجر: (هو محمول على من لا يقدر على الجهاد فيستحب في حقه العزلة ليسلم ويسلم غيره منه).^{٧٠}

وأجاب الجمهور عن أحاديث العزلة بأنها محمولة على الاعتزال في زمن الفتن والحروب، أو هي فيمن لا يسلم الناس منه، ولا يصبر عليهم، أو نحو ذلك من الخصوص، وقد كانت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وجماهير الصحابة والتابعين والعلماء والزهاد مختلفين، فيحصلون منافع الاختلاط كشهود الجمعة والجماعة والجنائز وعيادة المرضى وحلق الذكر وغير ذلك.^{٧١}

أما في زمن الفتن فالنصوص تدل على أفضلية العزلة، وصيانة الدين من الفتن، ومن تلك النصوص قول النبي صلى الله عليه وسلم: "سَتَكُونُ فِتْنٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ وَالْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي مَنْ تَشَرَّفَ لَهَا تَسْتَشْرِفُهُ فَمَنْ وَجَدَ مِنْهَا مَلْجَأً أَوْ مَعَادًا فَلْيَعُدْ بِهِ"^{٧٢}.

وعن أبي بكر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إِنَّهَا سَتَكُونُ فِتْنٌ أَلَا تَمُّ تَكُونُ فِتْنَةٌ الْقَاعِدُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْمَاشِي فِيهَا وَالْمَاشِي فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي إِلَيْهَا أَلَا فَإِذَا نَزَلَتْ أَوْ وَقَعَتْ فَمَنْ كَانَ لَهُ إِبِلٌ فَلْيَلْحَقْ بِإِبِلِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ عَنَمٌ فَلْيَلْحَقْ بِعَنَمِهِ وَمَنْ كَانَتْ لَهُ أَرْضٌ فَلْيَلْحَقْ بِأَرْضِهِ قَالَ فَقَالَ رَجُلٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِبِلٌ وَلَا عَنَمٌ وَلَا أَرْضٌ قَالَ يَعْمِدُ إِلَى سَيْفِهِ فَيَدُقُّ عَلَى حَدِّهِ بِحَجَرٍ ثُمَّ لِيَنْجُ إِنْ اسْتَطَاعَ النَّجَاءَ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ اللَّهُمَّ هَلْ بَلَغْتُ"^{٧٣}.

(٦٧) سبل السلام، (٥٤٦/٢).

(٦٨) أخرجه الترمذي (٤ / ١٨٢) هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، و أحمد (٤ / ٢٣)، وابن حبان (٢ / ٣٦٨)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١٤ / ٨٠)، والطبراني في الكبير (٩ / ١٩١)، والبيهقي في شعب الإيمان (٣ / ٢٧٧)، وسعيد بن منصور في سننه (١ / ٣٣٦)، وعبد بن حميد في مسنده (١ / ٢٢٣)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١ / ٤٣٧) برقم ١٩٤١.

(٦٩) أخرجه البخاري كتاب الجهاد والسير/ باب أفضل الناس مؤمن مجاهد بنفسه وماله في سبيل الله (٣ / ١٠٢٦) برقم ٢٦٣٤، ومسلم كتاب الإمارة (٦ / ٣٩) برقم ٤٩٩٤.

(٧٠) فتح الباري، ١٨، ٣٠٣.

(٧١) شرح النووي على مسلم - (١٣ / ٣٤).

(٧٢) أخرجه البخاري كتاب الفتن/ باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم (٦ / ٢٥٩٤) برقم ٦٦٠٧، ومسلم كتاب الفتن وأشراط الساعة (٨ / ١٦٨) برقم ٧٤٣١.

(٧٣) أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب نزول الفتن كمواقع القطر (٨ / ١٦٩) برقم ٧٤٣٢.

وتشرع العزلة في زمان الحن والفتن ولا تشرع فيما عداها لما يفوت بها من ترك الجماعات والجمع .^{٧٤}

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى قصة أصحاب الكهف وفرارهم بدينهم من فتنة الملك ومحاولته ردهم عن دينهم، قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : (إن ملكهم لما دعوه إلى الإيمان بالله أبي عليهم وتهددهم وتوعدهم وأمر بنزع لباسهم عنهم الذي كان عليهم من زينة قومهم وأجلهم لينظروا في أمرهم لعلمهم يرجعون عن دينهم الذي كانوا عليه وكان هذا من لطف الله بهم فإنهم في تلك النظرة توصلوا إلى الهرب منه والفرار بدينهم من الفتنة ... فلما وقع عزمهم على الذهاب والهرب من قومهم واختار الله تعالى لهم ذلك وأخبر عنهم بذلك في قوله {وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ} ^{٧٥} أي وإذ فارقتموهم وخالفتموهم بأديانكم في عبادتهم غير الله ففارقوهم أيضا بأبدانكم {فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِّنْ أَمْرِكُمْ مَّرْفَقًا} أي ييسط عليكم رحمة يستركم بها من قومكم.^{٧٦}

وقد لزم بعض الصحابة البيت أبان فتنة عثمان رضي الله عنه، من ذلك ما ورد عند ابن عبد البر قال: أخبرنا محمد بن خليفة حدثنا محمد بن الحسين حدثنا محمد بن مخلد حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني حدثنا سعيد بن أبي مرثم أخبرنا ابن لهيعة عن يسار بن عبد الرحمن قال: قال لي بكير بن الأشج ما فعل خالك؟ قال: قلت لزم البيت منذ كذا وكذا فقال: إلا أن رجلا من أهل بدر لزموا بيوتهم بعد قتل عثمان فلم يخرجوا إلا إلى قبورهم.^{٧٧}

قال العلماء: "الاعتزال عن الناس يكون مرة في الجبال والشعاب ومرة في السواحل والرباط ومرة في البيوت، ولم يخص موضعا من موضع وقد جعلت طائفة من العلماء العزلة اعتزال الشر وأهله بقلبك وعملك إن كنت بين أظهرهم"^{٧٨}

أما في الأحوال العادية التي ليس فيها فتنة عامة ، فالأصل فيها أن المسلم الذي يستطيع الخُطْطَة فيخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، ويوصل إليهم النفع الديني والدنيوي هو خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم ، بل يعتزل شرورهم ، ويتفرد بنفسه .

المطلب الثاني: "أملك عليك لسانك".

قوله صلى الله عليه وسلم:

"أملك عليك لسانك".

(وأملك) بقطع الهمزة وكسر اللام (عليك لسانك) أي احفظه وصنه ولا تجره إلا فيما لك لا عليك ، أو امسكه عما لا يعينك. قال الزمخشري: من المجاز اخزن لسانك وسرك. وخصه لأن الأعضاء تبع له، فإن استقامت استقامت وإن اعوج اعوجت^{٧٩}.

^{٧٤} ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣ / ١٠٣).

^{٧٥} الكهف ١٦.

^{٧٦} المرجع السابق: (٣ / ١٠٣).

^{٧٧} التمهيد: (٤٤٢/١٧).

^{٧٨} بتصريف: تفسير القرطبي، للقرطبي (٣٦١\١٠).

^{٧٩} -مصايح التنوير على صحيح الجامع الصغير (مختصر فيض القدير شرح الجامع الصغير للإمام عبد الرؤوف المناوي)، ل: محمد بن ناصر الدين الألباني، إعداد وترتيب: أبو أحمد معتر أحمد عبد الفتاح، (ت: ط).

قال في مرقاة المفاتيح: "أملك عليك لسانك بفتح الهمزة وكسر اللام أي احفظ لسانك عما ليس فيه خير، والأظهر أن معناه أمسك لسانك حافظاً عليك أموراً مراعيًا لأحوالك ففيه نوع من التضمين".^{٨٠}

قال المناوي: (أملك عليك لسانك : أي احفظه وصنه لعظم خطره وكثرة ضرره. وقال ذو النون رضي الله عنه: أصوم الناس لنفسه أملكهم للسانه. وقال ابن مسعود أو عمر: ما على الأرض أحوج إلى طول سجن من اللسان. قال حجة الإسلام رضي الله عنه: معنى حفظ اللسان من الكذب فلا ينطق به في جد ولا هزل لأنه إن نطق به هزل تداعى إلى الجد والخلف بالوعد بل ينبغي أن يكون إحسانك فعلاً بلا قول ، والغيبة فإنها أشد من ثلاثين زنية والمراد الجدل والمنافسة وتزكية النفس واللعن والدعاء على الخلق والمزاح والسخرية والاستهزاء بالخلق ونحو ذلك انتهى. قال بعض الحكماء: لا شيء أحق بالسجن من اللسان وقد جعله خلف الشفتين والأسنان ومع ذلك يكثّر القول ويفتح الأبواب^{٨١}.

فأملك لسانك بأن لا تحركه في معصية بل ولا في فيما لا يعينك فإن أعظم ما تطلب استقامته بهذا القلب اللسان فإنه الترجمان وقد سبق أن اللسان فاكهة الإنسان وإذا تعود اللسان صعب عليه الصبر عنها فبعد عليه النجاة منها ولهذا تجد الرجل يقوم الليل ويصوم النهار ويتورع عن استناده إلى وسادة حرير أو قعوده عليه في نحو وليمة لحظة واحدة ولسانه يفري في الأعراض غيبة ونغمة وتنقيصاً وإزراءاً ويرمي الأفاضل بالجهل ويتفككه بأعراضهم ويقول على ما لا يعلم وكثيراً ممن نجده يتورع عن دقائق الحرام كقطرة خمر ورأس إبرة من نجاسة.^{٨٢}

وقال الشيخ عبد المحسن العباد في شرحه لسنن أبي داود: "قوله: (واملك عليك لسانك) يعني: لا تتكلم بما لا ينبغي، فلا تكون سبباً في الفتنة لا بقول ولا بعمل".^{٨١}

والمسلم الحق هو الذي يحذر كل الحذر من لسانه ؛ لأنه سوف يحاسب على كل كلمة بل كل لفظ ينطق به لسانه قال تعالى: (مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ)^{٨٣}، وسئل النبي صلى الله عليه وسلم عن أكثر ما يدخل الناس النار؟ فقال: "الفرج و الفرج".^{٨٤}

وسأل معاذ النبي صلى الله عليه وسلم عن العمل الذي يدخله الجنة ويباعده من النار فأخبره النبي صلى الله عليه وسلم برأسه وعموده وذروة سنامه، ثم قال: "ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟" قال: بلى يا رسول الله! فأخذ بلسان نفسه ثم قال: "كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا". فقال: وإنما لمؤاخذون بما تتكلم به؟ فقال: "تَكَلَّمْتَ أَمَّاكَ يَا مُعَاذُ؛ وَهَلْ يَكُفُّ النَّاسَ عَلَى وَجْهِهِمْ - أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ - إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ".^{٨٥}

^{٨٠} مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح - (١٤ / ١١١)

^{٨١} المرجع السابق.

^{٨٢} - فيض القدير - (٢ / ١٩٧).

^{٨٣} [ق: ١٨]

^{٨٤} أخرجه الترمذي (٤ / ٣٦٣)، وابن ماجه (٢، ١٤١٨)، وأحمد (٢ / ٢٩١)، وحسنه الألباني. الصحيحة ٢ / ٦٦٩.

^{٨٥} أخرجه الترمذي (٥ / ١١) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في الكبرى (٦ / ٤٢٨)، وابن ماجه (٢ / ١٣١٤)، وأحمد (٥ / ٢٣١) وصححه الألباني، ينظر صحيح

الترمذي ٦ / ١١٦.

وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: "إذا أصبح ابن آدم فإن أعضاءه تُكفّر اللسان؛ تقول: اتق الله فينا؛ فإنك إن استقيمت استقمنا، وإن اعوججت اعوججنا".^{٨٦}

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

"لا يستقيم إيمان عبدٍ حتى يستقيم قلبه، ولا يستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه، ولا يدخل الجنة حتى يأمن جأزه بوائقه".^{٨٧}

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَاتٍ، وَإِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ".^{٨٨}

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: هَلْ تَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ؟ قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: "إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصِيَامٍ وَصَلَاةٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ عِرْضَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، فَيُقْعَدُ فَيُقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَيِّتَ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَايَا، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ".^{٨٩}

وذكر الإمام مالك في الموطأ: [عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه وأرضاه، أنه دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه -أي: يجره بشدة- فقال له عمر: مه! غفر الله لك، فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد^{٩٠}].

وقال رجل: رأيت ابن عباس أخذاً بشمرة لسانه -يعني: ممسكاً به- وهو يقول: ويحك قل خيراً تغنم، واسكت عن شر تسلّم، قال: فقال له رجل: يا بن عباس! ما لي أراك أخذاً بشمرة لسانك تقول: كذا وكذا؟! قال ابن عباس: بلغني أن العبد يوم القيامة ليس هو على شيء أحق منه على لسانه".^{٩١} يعني: لا يغضب على شيء من جوارحه أشد من غضبه على لسانه.

وقال النووي في الأذكار^{٩٢}: بلغنا أن قس بن ساعدة، و أكتهم بن صيفي اجتمعوا فقال أحدهما لصاحبه: كم وجدت في ابن آدم من العيوب؟! فقال: هي أكثر من أن تحصى، والذي أحصيته: ثمانية آلاف عيب، فوجدت خصلةً إن استعملتها سترت العيوب كلها، قال ما هي؟ قال: حفظ اللسان.

وقال إبراهيم التيمي: أخبرني من صحب الربيع بن خثيم عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب، الله المستعان! عشرين عاماً ما سمع منه كلمة تعاب^{٩٣}، والأثر ذكره ابن سعد في الطبقات .

وقال بعض السلف: تعلمت الصمت بحصاة جعلتها في فمي ثلاثين سنة كنت إذا هممت بالكلمة تلجج بها لساني فيسكت، وقال بعضهم: جعلت على نفسي بكل كلمة أتكلم بها فيما لا يعينني صلاة ركعتين فسهل ذلك علي

^{٨٦} ٩٥ / ٣ وحسنه الأرئوط، وأخرجه الترمذي - (٤ / ٦٠٥). وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي ٥ / ٤٠٧.

^{٨٧} -أخرجه أحمد (٣ / ١٩٨)، وابن أبي الدنيا في "الصمت"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣ / ٥٦.

^{٨٨} - البُخاري كتاب الرقاق/ باب حفظ اللسان (٥ / ٢٣٧٧) ٦١١٣ .

^{٨٩} - مسلم كتاب البر والصلة والآداب (٨ / ١٨) ٦٧٤٤ .

^{٩٠} ١٤٣٨ / ٥، وأخرجه ابن أبي شيبة (٥ / ٣٢٠).

^{٩١} - أخرجه ابن المبارك و أحمد و أبو نُعيم ،

وأيضاً أخرجه أحمد في كتاب الزهد ، والمتمن بمجموع طرقه حسن.

٤٢٣ / ١٩٢

^{٩٢} أخرجه البيهقي شعب الإيمان (٤ / ٢٦٦)، وابن أبي شيبة (٨ / ٢١٠).

فجعلت على نفسي بكل كلمة صوم يوم فسهلّ عليّ فلم أنته حتى جعلت على نفسي بكل كلمة أن أتصدق بدرهم فصعب ذلك فأنتهيت .

قال أحدهم :

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم * * * إن الجواب لباب الشر مفتاح الصمت عن جاهل أو أحمق شرف * * * أيضاً وفيه لصون العرض إصلاح أما ترى الأسد تخشى وهي صامته * * * والكلب يُخسأ لعمرى وهو نباح وعن ابن مسعود وسلمان الفارسي، قالاً: أكثر النَّاسِ وقوفاً يوم القيامة أكثرهم حوضاً في الباطل. إن السكوت سلامةٌ ولربما ... زرع الكلام عداوةً وضراراً. فإن ندمت على سكوتك مرةً ... فلتندمن على الكلام مرارا

قال عيسى عليه السلام العبادة عشرة أجزاء تسعة منها في الصمت وجزء في الفرار من الناس ، وقيل للقمان عليه السلام : اذبح هذه الشاة وأطعمنا أطيب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها ثم قيل له اذبح شاة وأطعمنا أخصب ما فيها فجاء بقلبها ولسانها فسئل عن ذلك فقال ليس في الجسد مضغتان أخصب منهما إذا خبثا ولا أطيب منهما إذا طابا ^{٩٤} . قال الشاعر:

احفظ لسانك أيها الإنسان * * * لا يلدغك إنه ثعبان
كم في المقابر من قتيل لسانه * * * كانت تهاب لقائه الشجعان
وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت" ^{٩٥} .

وروى الطبراني من حديث أسود بن أصرم المخاري قال: "قلت يا رسول الله أوصني ، قال هل تملك لسانك ؟ قلت ما أملك إذا لم أملك لساني ، قال فهل تملك يدك ؟ قلت ما أملك إذا لم أملك يدي ، قال فلا تقل بلسانك إلا معروفا ، ولا تبسط يدك إلا إلى خير" ^{٩٦} .

وفي المسند عن عبد الله بن عمرو مرفوعاً: "من صمت نجاً" ^{٩٧} .
وقال صلى الله عليه وسلم: "كلام ابن آدم عليه لا له إلا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذكر الله عز وجل" ^{٩٨} .

^{٩٤} مصنف ابن أبي شيبة - (٧ / ٧٤).

^{٩٥} أخرجه البخاري كتاب الأدب/ باب إكرام الضيف (٥ / ٢٢٧٣) برقم ٥٧٨٧ ، ومسلم كتاب الإيمان (١ / ٤٩) برقم ١٨٢ .

^{٩٦} ٣٥٠ / ١ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٤ / ٢٤٠) ، والضعف في المختارة (٢ / ١٩٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ٣ / ٥٧ .
^{٩٧} أخرجه الترمذي (٤ / ٦٦٠) وقال هذا حديث غريب ، والدارمي (٢ / ٣٨٧) ، أحمد (٢ / ١٥٩) ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣ / ٥٨) .

^{٩٨} عن أم حبيبة. أخرجه الترمذي - (٤ / ٦٠٨) ، وابن ماجه (٢ / ١٣١٥) ، وضعفه الألباني السلسلة الضعيفة - مختصرة - (٣ / ٥٤٥) .

إذا علمت ما ذكرنا ، وفهمت مضمون ما حررنا ، تيقنت عظم شأن اللسان . وما يعود به على الإنسان . وأنه من الفتن التي ابتلى الله بها عباده فمن أحسن فله ومن أساء فعليه .^{٩٩}

المطلب الثالث: "خذ ما تعرف ودع ما تنكر، ودع عنك أمر العامة وعليك بخاصة نفسك":

(وخذ ما تعرف) قال المناوي: من أمر الدين : أي الزم فعل ما تعرف كونه حقاً من أحوالك التي تنتفع بها دنيا وأخرى (ودع) اترك (ما تنكر) من أمر الناس المخالف للشرع وانظر إلى تدبير الله فيهم بقلبك فإنه قسم بينهم أخلاقهم كما قسم بينهم أرزاقهم ولو شاء لجمعهم على خلق واحد فلا تغفل عن النظر إلى تدبيره تعالى فيهم فإذا رأيت معصية فاحمد الله إذ صرفها عنك في وقتك وتلطف في الأمر والنهي في رفق وصبر وسكينة فإن قبل منك فاحمد الله وإلا فاستغفره لتفريطك.^{١٠٠}

(وعليك بخاصة أمر نفسك) أي استعملها في المشروع وكفها عن المنهي والزم أمر نفسك والزم دينك واترك الناس ولا تتبعهم.^{١٠١}

وقيل: اجتهد في خلاصك، ولا تهلك مع من هلك، كما جاء عن بعض أهل العلم أنه قال: لا يغتر الإنسان بطريق الشر ولو كثر السالكون لها، ولا يزهد عن طريق الخير وإن قل السالكون لها، فليس العجب ممن هلك كيف هلك وإنما العجب ممن نجا كيف نجا، لأن الهالكين كثيرون.^{١٠٢}

والمراد بخاصة أمرك: حادثة الوقت التي تخص المرء وصغرت لاستصغارها في جنب جميع الحوادث العظام من البعث والحساب وغير ذلك.

(ودع عنك أمر العامة) أي اتركه، والعامة: كافة الناس فليس المراد العوام فقط، والمعنى: إذا غلب على ظنك أن المنكر لا يزول بإنكارك لغلبة الابتلاء لعمومه أو تسلط فاعله وتجيده أو خفت على نفسك أو محترم غيرك محذورا بسبب الإنكار فأنت في سعة من تركه والإنكار بالقلب مع الانجماع وهذا رخصة في ترك الأمر بالمعروف إذا كثر الأشرار وضعف الأخيار.^{١٠٣}

ويكون الترك حيث لا يجدي ولا يفيد العمل معهم شيئاً، أما إذا كان مفيداً، وينتفع الناس بالنصح والأمر والنهي فلا يعدل عنه.^{١٠٤}

^{٩٩} -غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب ، للسفاريني.

^{١٠٠} فيض القدير - (١ / ٣٥٣)

^{١٠١} المرجع السابق.

^{١٠٢} شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد .

^{١٠٣} فيض القدير ٣٥٣/١، وينظر عون المعبود ١١ / ٣٣٤.

^{١٠٤} ١٠٤ شرح سنن أبي داود - عبد المحسن العباد .

وهذه الجملة تدفع احتمال التجوز بأن المراد غير العزلة والانجماع .

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به بعض الناس سقط الحرج عن الباقي وإذا تركه الجميع أثم كل من تمكن منه بلا عذر ولا خوف ثم أنه قد يتعين كما إذا كان في موضع لا يعلم به إلا هو أولاً يتمكن من إزالته إلا هو وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر أو تقصير في المعروف.^{١٠٥}

ولا يسقط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلا في أحوال:

٢- أن لا يقبل القول ولا ينتفع به.

عن أمية الشعباني قال سألت أبا ثعلبة الخشني فقلت يا أبا ثعلبة كيف تقول في هذه الآية (عليكم أنفسكم)^{١٠٦} قال أما والله لقد سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: "بل ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً^{١٠٧} وهوى متبعاً ودنيا مؤثرة^{١٠٨} وإعجاب كل ذي رأى برأيه فعليك - يعني بنفسك - ودع عنك العوام فإن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل قبض على الجمر للعامل فيهم مثل أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله".

وزادني غيره قال يا رسول الله أجر خمسين منهم قال « أجر خمسين منكم ».^{١٠٩}

وقد روي عن طائفة من الصحابة في قوله تعالى: "عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم"، قالوا لم يأت تأويلها بعد إنما تأويلها في آخر الزمان، وعن ابن مسعود قال: إذا اختلفت القلوب والأهواء وألبستم شيعاً وذاق بعضهم بأس بعض فيأمر الإنسان حينئذ نفسه فهو حينئذ تأويل هذه الآية، وعن ابن عمر قال هذه الآية لأقوام يجيئون من بعدنا إن قالوا لم يقبل منهم.

وعن مكحول قال: لم يأت تأويلها بعد، إذا هاب الواعظ وأنكر الموعوظ فعليك حينئذ بنفسك لا يضرك من ضل إذا اهتديت. وعن الحسن أنه كان إذا تلا هذه الآية قال: يا لها من ثقة ما أوثقها ومن سعة ما أوسعها!. وهذا كله قد

١٠٥ شرح النووي على مسلم - (٢ / ٢٣)

١٠٦ المائدة ١٠٥.

١٠٧ أي بخلا مطاعاً بأن أطاعته نفسك وطواعه غيرك. قاله القاري. عون المعبود (١١ / ٣٣٢)

١٠٨ وهي عبارة عن المال والجاه في الدار الدنيا (مؤثرة): أي مختارة على أمور الدين. عون المعبود (١١ / ٣٣٢)

١٠٩ أخرجه أبو داود (٤ / ٢١٥)، والترمذي (٥ / ٢٥٧)، وابن ماجه (٢ / ١٣٣٠)، والمروزي في السنة (١ / ١٤)، وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٣ / ٦٤١)، والبخاري في خلق أفعال العباد (١ / ٦٤)، وابن وضاح في البلغ (١ / ٢٣١)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥ / ١٢٧)، والبخاري في تفسيره (٣ / ١١٠)، والطبري في تفسيره (١١ / ١٤٦)، والقاسم بن سلام في الناسخ والمنسوخ (١ / ٤٥٥)، والبيهقي في الكبرى (١٠ / ٩١)، والحاكم (٤ / ٣٥٨)، والطبراني في الكبير (١٦ / ٩٢)، وفي مسند الشاميين (١ / ٤٢٨)، وأبو نعيم في الحلية (٢ / ٣٠)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣ / ١٣٦)، والبيهقي شعب الإيمان (٦ / ٨٣) (٧ / ١٢٧)، وفي الآداب (١ / ٩٠)، وابن حبان (٢ / ١٠٨)، وابن أبي عاصم الزهد (١ / ١٣٣)، وعبد الغني المقدسي في الأمر بالمعروف (١ / ١٣) (١ / ٢٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٢٤ / ٣١٦)، وابن عساکر في تاريخ دمشق (٦٤ / ٣٩)، (٤٠ / ٦٤)، وابن أبي الدنيا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١ / ٣)، وفي العقوبات (١ / ١١)، قال الألباني في مشكاة المصابيح (٣ / ١١٥): ضعيف ولبعضه شواهد.

يحمل على أن من عجز عن الأمر بالمعروف أو خاف الضرر سقط عنه وكلام ابن عمر يدل على أن من علم أنه لا يقبل منه لم يجب عليه كما حكى رواية عن أحمد وكذا قال الأوزاعي: أمر من ترى أن يقبل منك^{١١٠}.

فأنه قد يفهم الإنسان من الآية أنه إذا اهتدى لا يضره ضلال غيره إذا ضل، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس بالواجب، ولكن حديث أبي بكر رضي الله عنه بين الحق حيث قال: إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها في غير موضعها..، ثم بين أن المقصود من ذلك بعد أن يأمر الإنسان وينهى، وليس معنى ذلك أنه يترك الأمر والنهي، ولكنه إذا أدى ما عليه فعند ذلك لا يضره ضلال من ضل إذا اهتدى. أما أن يترك الأمر والنهي ويكفيه أن يكون قد اهتدى، فهذا ليس بصحيح.^{١١١}

وبعض العلماء لم ير هذا الشرط -عدم قبول القول-:

قال بعض العلماء: ولا يسقط عن المكلف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لكونه لا يفيد في ظنه بل يجب عليه فعله فإن الذكرى تنفع المؤمنين. وأن الذي عليه الأمر والنهي لا القبول.^{١١٢}

٣- خوف الضرر على النفس أو المال أو على أحد من المسلمين.

قال الفضيل بن عياض وغيره: ومع هذا متى خاف على نفسه السيف أو السوط أو الحبس أو القيد أو النفي أو أخذ المال أو نحو ذلك من الأذى سقط أمرهم ونهيهم، وقد نص الأئمة على ذلك منهم مالك وأحمد وإسحاق وغيرهم، قال أحمد: لا يتعرض إلى السلطان فإن سيفه مسلول.

وقال ابن شبرمة: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كالجهاد يجب على الواحد أن يصابر فيه الاثنين ويحرم عليه الفرار منهما ولا يجب عليه مصابرة أكثر من ذلك، فإن خاف السب أو سماع الكلام السيء لم يسقط عنه الإنكار بذلك نص عليه الإمام أحمد وإن احتمل الأذى وقوي عليه فهو أفضل نص عليه أحمد أيضاً.^{١١٣}

فيكون الأمر على الاستحباب، كما أن الصبر على الأذى من الأمر والنهي أفضل:

فقد جاء من حديث أبي سعيد قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: "أفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر"^{١١٤}.

قال الخطابي: وإنما صار ذلك أفضل الجهاد لأن من جاهد العدو كان متردداً بين الرجاء والخوف لا يدري هل يغلب أو يغلب، وصاحب السلطان مقهور في يده فهو إذا قال الحق وأمره بالمعروف فقد تعرض للتلف وأهدف نفسه للهلاك فصار ذلك أفضل أنواع الجهاد من أجل غلبة الخوف

وقال المظهر وإنما كان أفضل لأن ظلم السلطان يسري في جميع من تحت سياسته وهو جم غفير فإذا نهاه عن الظلم فقد أوصل النفع إلى خلق كثير بخلاف قتل كافر انتهى.^{١١٥}

^{١١٠} جامع العلوم والحكم

^{١١١} شرح سنن أبي داود، عبد المحسن العباد.

^{١١٢} شرح النووي على مسلم - (١ / ١٣١)

^{١١٣} جامع العلوم والحكم - (١ / ٣٢٣).

^{١١٤} سنن أبي داود - (٤ / ٢١٧)، سنن ابن ماجه - (٢ / ١٣٢٩)، سنن الترمذي - (٤ / ٤٧١).

^{١١٥} تحفة الأحوذى - (٦ / ٣٣٠)

والهيبية قد تكون بخوف تلف النفس والمال، فالأمر للعزيمة لا للوجوب، فإن الإجماع على أن الأمر بالمعروف يسقط في هذه الحالة بل يجوز إجراء كلمة الكفر على اللسان لقوله تعالى إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان.^{١١٦}

٤- أن يترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حصول مفسدة أعظم من ذلك المنكر، فإنه

حينئذ يترك الأمر والنهي. وهذه قاعدة عامة في الشريعة يقول فيها شيخ الإسلام:

"وجماع ذلك داخل في " القاعدة العامة " : فيما إذا تعارضت المصالح والمفاسد والحسنات والسيئات أو تراخمت ؛ فإنه يجب ترجيح الراجح منها فيما إذا ازدحمت المصالح والمفاسد وتعارضت المصالح والمفاسد . فإن الأمر والنهي وإن كان متضمنا لتحصيل مصلحة ودفع مفسدة فينظر في المعارض له فإن كان الذي يفوت من المصالح أو يحصل من المفاسد أكثر لم يكن مأمورا به ؛ بل يكون محرما إذا كانت مفسدته أكثر من مصلحته ؛ لكن اعتبار مقادير المصالح والمفاسد هو بميزان الشريعة فمتى قدر الإنسان على اتباع النصوص لم يعدل عنها وإلا اجتهد برأيه لمعرفة الأشباه والنظائر وقل إن تعوز النصوص من يكون خبيرا بما وبدالاتها على الأحكام . وعلى هذا إذا كان الشخص أو الطائفة جامعين بين معروف ومنكر بحيث لا يفرقون بينهما ؛ بل إما أن يفعلوها جميعا ؛ أو يتركوها جميعا : لم يجز أن يؤمروا بمعروف ولا أن ينهوا من منكر ؛ ينظر: فإن كان المعروف أكثر أمر به ؛ وإن استلزم ما هو دونه من المنكر . ولم ينه عن منكر يستلزم تفويت معروف أعظم منه ؛ بل يكون النهي حينئذ من باب الصد عن سبيل الله والسعي في زوال طاعته وطاعة رسوله وزوال فعل الحسنات وإن كان المنكر أغلب نهي عنه ؛ وإن استلزم فوات ما هو دونه من المعروف . ويكون الأمر بذلك المعروف المستلزم للمنكر الزائد عليه أمرا بمنكر وسعيًا في معصية الله ورسوله . وإن تكافأ المعروف والمنكر المتلازمان لم يؤمر بهما ولم ينه عنهما . فتارة يصلح الأمر ؛ وتارة يصلح النهي ؛ وتارة لا يصلح لا أمر ولا نهي حيث كان المعروف والمنكر متلازمين ؛ وذلك في الأمور المعينة الواقعة".^{١١٧}

ويدل على هذه القاعدة أدلة من السنة، كترك النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن أبي المنافق، لتوقعه حصول ضرر أكبر على الإسلام من بقاءه، كما ترك تغيير البيت وجعله على قواعد إبراهيم عليه السلام، وغيرها.^{١١٨}

و لا يشترط أن يكون الأمر بالمعروف فاعلاً له، ولا النهي عن المنكر سليماً منه، بل يجب الأمر بالمعروف لمن قدر عليه ولم يخف على نفسه منه ضرراً ولو كان الأمر متلبساً بالمعصية، لأنه في الجملة يؤجر على الأمر بالمعروف ولا سيما إن كان مطاعاً، وأما إنمّه الخاص به فقد يغفره الله له وقد يؤاخذ به.^{١١٩}

^{١١٦} شرح سنن ابن ماجه، السيوطي وآخرون(١ / ٢٨٩).

^{١١٧} مجموع الفتاوى لابن تيمية (٢٨ / ١٢٩)

^{١١٨} ينظر كتاب القول الأبين الأظهر في الدعوة إلى الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر للعلامة عبد العزيز بن عبد الله الراجحي.

^{١١٩} فتح الباري- تعليق ابن باز - (١٣ / ٥٣)

وبعض العلماء عدّه شرطاً.^{١٢٠}

ويبقى الإنكار للمنكر بالقلب واجباً متحتماً لا يسقط بحال، فإنه لا يقدر أحد على أن يحول بينهم وبينه، وليس بعده من الإيمان حبة خردل.

وسمع ابن مسعود رجلاً يقول هلك من لم يأمر بالمعروف ولم ينه عن المنكر فقال ابن مسعود: "هلك من لم يعرف بقلبه المعروف والمنكر"، يشير إلى أن معرفة المعروف والمنكر بالقلب فرض لا يسقط عن أحد فمن لم يعرفه هلك وأما الإنكار باللسان واليد فإنما يجب بحسب الطاقة.^{١٢١}

وعن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهاها". وقال مرة: "أنكرها" كمن غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها".^{١٢٢}

فإذا ترك الأمر والنهي بدون ضرورة فإن العقاب يعم:

أخرج أبو داود بسنده فقال: قال أبو بكر-الصدّيق- بعد أن حمد الله وأثنى عليه يا أيها الناس إنكم تقرءون هذه الآية وتضعونها على غير مواضعها (عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم) قال عن خالد وأنا سمعنا النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول « إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب ». وقال عمرو عن هشيم وإني سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول « ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرن على أن يغيروا ثم لا يغيروا إلا يوشك أن يعمهم الله منه بعقاب ». ^{١٢٣}

وجاء عن النبي -صلى الله عليه وسلم: "إن الله لا يعذب العامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر

بين ظهرائهم ، وهم قادرون على أن ينكروه ، فلا ينكروه فإذا فعلوا ذلك ، عذب الله العامة والخاصة ".^{١٢٤}

عن زينب بنت جحش رضي الله عنها: "أن النبي صلى الله عليه و سلم دخل عليها فرعا يقول: لا إله إلا الله ويل للعرب من شر اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه -وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها-، قالت زينب بنت جحش: فقلت يا رسول الله أهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثرت الخبث".^{١٢٥}

وعند تكاثر الشر وتداول المنكر واشتداد يكون الإنكار صعباً، فجعل الله سبحانه وتعالى لمن أنكر في مثل تلك الأحوال الأجر العظيم:

فقد قال -عليه الصلاة والسلام- أنه في آخر الزمان أيام تسمى أيام الصبر، والقابض فيها على دينه كالقابض على الجمر، وأجر العامل فيها كأجر خمسين رجلاً، قالوا: منهم يا رسول الله أو منا، قال: منكم.

^{١٢٠} منهم الشيخ ابن عثيمين رحمه الله. ينظر مجموع الفتاوى قسم العقيدة.

^{١٢١} جامع العلوم والحكم - (١ / ٣٢١)

^{١٢٢} سنن أبي داود-ن - (٤ / ٢١٨)

^{١٢٣} السنن (٤ / ٢١٤).

^{١٢٤} أخرجه أحمد ٤ / ١٩٢، والبغوي في شرح السنة (١٤ / ٣٤٦). والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٣ / ١٣٧)، والمقدسي كتاب الأمر بالمعروف (١ / ١٤). وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة -مختصرة- (٧ / ١١١).

^{١٢٥} أخرجه البخاري كتاب الفتن، باب يأجوج ومأجوج (٦ / ٢٦٠٩) برقم ٦٧١٦، ومسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة (٨ / ١٦٦) برقم ٧٤١٨.

هذه مع كونها تخبر عن واقعٍ مُرٍّ إلا أنها تشرح صدر المسلم للعمل والمدافعة أجر خمسين من الصحابة في آخر الزمان عند فساد الناس، أجر خمسين من الصحابة هذا ليس بالسهل ولا بالهين.^{١٢٦}

هذا وللمتمسكين بسنة ال*** مختار عند فساد ذي الأزمان
أجرٌ عظيمٌ ليس يقدر قدره*** إلا الذي أعطاه للإنسان
فروى أبو داود في سنن له*** ورواه أيضاً أحمد الشيباني
أثراً تضمن أجر خمسين امرئٍ*** من صحب أحمد خيرة الرحمن
إسناده حسنٌ ومصداقٌ له*** في مسلم فافهمه فهم بيان
إن العبادة وقت هجرة*** حقاً إليّ وذاك ذو برهان^{١٢٧}.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة، وهو أمر مقرر، شعيرة من شعائر الدين، حتى عدّه بعضهم من أركان الإسلام، ولا يمكن أن تقوم أمور المسلمين إلا به، كما يعد من أعلى خصال الإيمان، وبه تحصل النجاة من العقوبات العامة وذلك في الأخذ على يد الظالم.

المخرج من هذه الفتن:

- يكون المخرج والنجاة من هذه الفتن في لزوم كتاب الله - عز وجل - في لزوم سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وفي الفقه في دين الله - تبارك وتعالى -؛ فإن الإنسان إنما يؤتى بسبب جهله وقصور علمه فيضل، أو أن يؤتى بسبب غلبة الهوى على قلبه فيضل بسبب ذلك.
- وفي الصبر:

عن المقداد بن الأسود قال: أيم الله، لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن السعيد لمن جنب الفتن، إن السعيد لمن جنب الفتن، ولمن ابتلى فصبر فواها" ١٢٨.
قال في عون المعبود: (إن السعيد لمن) باللام المفتوحة للتأكيد في خبر إن (جنب) بضم الجيم وتشديد النون المكسورة أي بعد والتكرار للمبالغة في التأكيد ويمكن أن يكون التكرار باعتبار أول الفتن وآخرها (ولمن ابتلى وصبر) بفتح اللام عطف على لمن جنب (فواها) معناه التلهف والتحسر أي واهماً لمن باشر الفتنة وسعى فيها وقيل معناه الإعجاب والاستطابة. ١٢٩

^{١٢٦} العبادة في زمن الفتن. عبداً لكريم الخضير.

^{١٢٧} متن القصيدة النونية لابن القيم (٢ / ٣٠٠).

^{١٢٨} سنن أبي داود - (٤ / ١٦٤) وصححه الألباني مشكاة المصابيح - (٣ / ١٧٣).

^{١٢٩} (١١ / ٢٣١)

-وفي كثرة العبادة في زمن الفتن:

وفي حديث معقل بن يسار عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "العبادة في الهرج كهجرة إلي"،^{١٣٠} والمقصود بالعبادة في الهرج أي العبادة عند الفتن وكثرة اختلاف الآراء والأهواء؛ وسبب كثرة فضل العبادة فيه أن الناس يغفلون عنها ويشغلون عنها ولا يتفرغ لها إلا الأفراد.

وعن أبي سعيد -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع بها شعف الجبال، ومواقع القطر، يفر بدينه من الفتن).^{١٣١}

-ومما ينجلي من الفتن الحذر من الأئمة المضلين الملبسين على الناس دينهم، خاصة وأن هؤلاء يرفعون عقيرتهم عادة في أوقات الفتن، فقد جاء في حديث يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل -رضي الله عنه- أنه قال: "كان لا يجلس مجلساً للذكر -يعني معاذ- إلا قال حين يجلس: "الله حكم قسط، هلك المرتابون" فقال معاذ بن جبل يوماً: "إن من ورائكم فتناً يكثر فيها المال، ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق، والرجل والمرأة، والعبد والحر، والصغير والكبير، فيوشك قائل أن يقول: ما للناس لا يتبعوني وقد قرأت القرآن، وما هم بمتبعي حتى أبتدع لهم غيره، فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وأحذركم زيعة الحكيم، فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق"، قال -يزيد بن عميرة -: قلت لمعاذ: وما يدريني -رحمك الله- أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق يقول كلمة الحق؟ قال: بلى، اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التي يقال ما هذه؟، ولا يثنيك ذلك عنه، فإنه لعله يراجع، وتلقى الحق إذا سمعته، فإن على الحق نوراً".^{١٣٢ ١٣٣}

قال في عون المعبود: "أي فلا يخفى عليك كلمة الحق وإن سمعتها من المنافق لما عليها من النور والضياء وكذلك كلمات الحكيم الباطلة لا تخفى عليك لأن الناس إذا يسمعونها ينكرونها لما عليها من ظلام البدعة والبطلان ويقولون إنكاراً ما هذه وتشتهر تلك الكلمات بين الناس بالبطلان فعليك أن تجتنب من كلمات الحكيم المنكرة الباطلة ولكن لا تترك صحبة الحكيم فإنه لعله يرجع عنها".^{١٣٤}

الخاتمة.

أهم النتائج:

-

^{١٣٠} أخرجه مسلم كتاب الفتن وأشراف الساعة (٨ / ٢٠٨) برقم ٧٥٨٨.

^{١٣١} أخرجه البخاري كتاب الرقاق/ باب العزلة راحة من خلاط السوء (٥ / ٢٣٨٢) برقم ٦١٣٠.

^{١٣٢} أخرجه أبي داود (٤ / ٣٣١) وقال الألباني: صحيح الإسناد موقوف، وأخرجه البيهقي (١٠ / ٢١٠٩)، والحاكم (٤ / ٥٠٧).

^{١٣٣} ينظر المخرج من الفتن/ خالد السبت.

^{١٣٤} (١٢ / ٢٣٨).

فهرس المراجع:

- ١- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل لمحمد بن ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - الطبعة الأولى : ١٣٩٩ هـ .
- ٢- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير أبي الحسن علي بن محمد الجزري - بيروت - دار البشائر.
- ٣- الإصابة في تمييز الصحابة لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: علي محمد البجاوي - بيروت - دار الجليل - الأولى : ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٤- الأوسط لابن المنذر، موقع جامع الحديث.
- ٥- التاريخ الكبير لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، دار الفكر تحقيق : السيد هاشم الندوي.
- ٦- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير لأحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: عبد الله هاشم اليماني المدني - المدينة المنورة - ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م.
- ٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ليوסף بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، حققه وخرجه أحاديثه : محمد عبد القادر عطا - بيروت - دار الكتب العلمية - الأولى : ١٤١٩ هـ .
- ٨- الثواب والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي، ١٠٤ ، ١١٢ ، د. صلاح الصاوي.
- ٩- الجامع الصحيح لأبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري - بيروت - دار الآفاق الجديدة.
- ١٠- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة لأبي القاسم إسماعيل ابن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني، ٤٥٧ هـ / سنة الوفاة ٥٣٥ هـ، تحقيق محمد بن ربيع بن هادي عمير المدخلي، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م من دار الراهبة الرياض.
- ١١- الزهد لابن المبارك، حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية بيروت.
- ١٢- السنة لعمرو بن أبي عاصم الضحاك الشيباني [ت : ٢٨٧] محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة : الأولى ، ١٤٠٠ .
- ١٣- السنن الصغرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: د. محمد ضياء الرحمن الأعظمي - مكتبة الدار بالمدينة المنورة - الأولى : ١٤١٠ هـ .
- ١٤- السنن الكبرى لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، تحقيق: محمد عبد القادر عطا - مكة المكرمة - دار الباز : ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- ١٥- الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد بن منيع البصري - بيروت - دار صادر.

- ١٦- الطيوريات من انتخاب الفقيه الإمام: أبي طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني من أصول كتب الشيخ أبي الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي الطيور الحنبلي.
- ١٧- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي- بيروت- دار الفكر- الأولى: ١٤١٧هـ.
- ١٨- المستدرک على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا - بيروت- دار الكتب العلمية- الأولى: ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- ١٩- المسند لأحمد بن حنبل تحقيق وتخریج: أحمد شاكر- دار المعارف- الثالثة: ١٣٦٩هـ مسند أبي يعلى الموصلي للإمام أحمد بن علي بن المثنى التميمي، تحقيق: حسين سليم أسد - دار المأمون للتراث- الأولى: ١٤٠٦هـ.
- ٢٠- المغني لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي- بيروت- دار الفكر- الأولى: ١٤٠٥هـ.
- ٢١- المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين المعروف بالراغب الأصفهاني، تحقيق: محمد سيد الكيلاني- بيروت- دار المعرفة.
- ٢٢-
- ٢٣- تقريب التهذيب لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، حققه وعلق عليه وصححه وأضاف إليه: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد - دار العاصمة- ١٤١٦هـ.
- ٢٤- تهذيب التهذيب لشهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني-بيروت- دار إحياء التراث العربي- الثانية: ١٤١٣هـ.
- ٢٥- تهذيب الكمال في أسماء الرجال لجمال الدين يوسف المزي، تحقيق: بشار عواد- بيروت- مؤسسة الرسالة- الثانية: ١٤١٣هـ.
- ٢٦- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير الطبري - بيروت- دار الفكر: ١٤٠٥هـ.
- ٢٧- جامع العلوم والحكم شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي - بيروت- دار المعرفة- الأولى: ١٤٠٨هـ.
- ٢٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني- الرياض- مكتبة المعارف - ١٤١٥هـ
- ٢٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني- المكتب الإسلامي.
- ٣٠- سنن النسائي (المجتبى) لأحمد بن شعيب النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة حلب مكتب المطبوعات الإسلامية- الثانية: ١٤٠٦هـ.
- ٣١- شرح السنة للبخاري ، حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه : شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش - المكتب الإسلامي- الثانية: ١٤٠٣هـ.
- ٣٢- شرح النووي على صحيح مسلم لأبي زكريا يحيى بن شرف النووي- بيروت- دار إحياء التراث العربي- الثانية: ١٣٩٢هـ.
- ٣٣- علل الحديث لأبي محمد عبد الرحمن الرازي، تحقيق: محب الدين الخطيب- بيروت- دار المعرفة- ١٤٠٥هـ.

- ٣٤- فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء لأحمد الدويش
- ٣٥- فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني، رقم كتبها وأبوابها وأحاديثها: محمد فؤاد عبد الباقي، حقق أصلها: عبدالعزيز بن باز- رحمه الله- بيروت - دار الكتب العلمية- الأولى: ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
- ٣٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - القاهرة- دار الريان للتراث، بيروت- دار الكتاب العربي- ١٤٠٧هـ.
- ٣٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي - القاهرة- دار الريان للتراث، بيروت- دار الكتاب العربي- ١٤٠٧هـ.
- ٣٨- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي النجدي الحنبلي.
- ٣٩- محاسن التأويل لجمال الدين القاسمي.
- ٤٠- مساوئ الأخلاق للخرائطي. موقع جامع الحديث.
- ٤١- مسند أبي داود الطيالسي لسليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي - بيروت - دار المعرفة.
- ٤٢- مسند إسحاق بن راهويه لإسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن رهويه الحنظلي، تحقيق: عبد الغفور بن عبد الحق البلوشي - المدينة المنورة- مكتبة الإيمان- ١٤١٣هـ- ١٩٩١م.
- ٤٣- مسند الإمام أحمد حنبل المشرف على التحقيق: شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - الأولى: ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.
- ٤٤- مسند الشاميين لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد المجيد السلفي - مؤسسة الرسالة- الأولى: ١٤٠٥هـ.

فهرس الموضوعات:

الصفحة

١

الموضوع

أهمية البحث

خطة البحث